

تفسير البيضاوي

15 - { ا يستهزئ بهم } يجازهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما لمقابلة اللفظ باللفظ أو لكونه مماثلاً له في القدر أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء أو الغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ : أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وأما في الآخرة : فبأن يفتح لهم وهم في النار باباً إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى : { فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون } وإنما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أن ا تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين إلى أن يعارضوهم وأن استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل ا تعالى بهم ولعله لم يقل : ا مستهزئ بهم ليطابق قولهم إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حيناً بعد حين وهكذا كانت نكيات ا فيهم كما قال تعالى { أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين } .

{ ويمدهم في طغيانهم يعمهون } من مد الجيش وأمدّه إذا زاد وقواه ومنه مددت السراج والأرض إذا استصلحتهما بالزيت والسماذ لا من المد في العمر فإنه يعدى باللام كأملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير (ويمدهم) والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء الكلام على ظاهره قالوا : لما منعهم ا تعالى الطافة التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم ريئاً وظلمة تزايدت قلوب المؤمنين انشراحاً ونوراً وأمكن الشيطان من إغوائهم فزادهم طغياناً أسند ذلك إلى ا تعالى إسناد الفعل إلى المسبب مجازاً وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة ومصدق ذلك أنه لما أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي وقال { وإخوانهم يمدونهم في الغي } أو أصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا إلا طغياناً وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما في قوله تعالى : { واختار موسى قومه } أو التقدير يمدهم استصلاحاً وهم مع ذلك يعمهون في الكفر والطغيان بالضم والكسر كلقيان والطغيان : تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى : { إنا لما طغى الماء حملناكم في العمة في البصرة كالعمى في البصر وهو : التحير في الأمر يقال رجل عامه وعمه ' وأرض عمهاء لا منار بها قال : .

(أعمى الهدى بالجاهلين العمة)